ذكرى استشهاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

رمضان ١٤٣٧هـ

استشهاد الإمام علي عليه السلام

بين الذكرى والواقع

بقلم الأستاذ

طه هادي أحمد الناظري

المجلس الإسلامي

صنعاء | ٢٠١٦م

استشهاد الإمام علي(ع)

بين الذكرى والواقع

بقلم الأستاذ

طه هادي أحمد الحاضري

المجلس الإسلامي

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

تنسيق وإخراج: حفظ الله عقيل
Mobial : 774373456 – 737247737
e-mail : hefdallahageel@gmail.com

تصميم الغلاف

محمد حسان الشامي

الجمهورية اليمنية
البريد الإلكتروني zmagls5@gmail.com
الموقع الإلكتروني www.zaidiah.com
قناة التلقرام: https://telegram.me/zmagls

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن أصحابه المنتجبين، وبعد:

فهذا الكتيب عبارة عن ورقة عمل[١] تحلل حادثة استشهاد الإمام علي عليه السلام وتعالج جملة من القضايا الحيوية المتعلقة بها، وتربط بين الواقعة وواقع المسلمين اليوم، وما الذي ينبغي أن يكون.

(١) قُدَّمت في الندوة الفكرية والثقافية "الإمام علي عليه السلام نصر أمام خطري الصهيونية والتكفير" التي أقامتها رابطة علماء اليمن بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام علي (ع) بالجامع الكبير بصنعاء بتاريخ ١٩ رمضان ١٤٣٦هـ الموافق ٢٠١٥/٧/٨م.

أهمية إحياء ذكرى استشهاد الإمام علي (ع)

الإمام علي عليه السلام رجل استثنائي، وعاش في مرحلة مفصلية عبر تاريخ البشرية مرحلة فارقة بين مرحلة ختم النبوة ومرحلة ما بعدها، وهي من أهم المراحل في تاريخ البشرية، حيث لا نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي عليه السلام هو المؤهل لحمل مشعل الهداية، وهو الذي واجه الانحراف الذي طرأ داخل الأمة بعد رحيل النبي الكريم.

فهو عليه السلام نقطة بين مرحلتين هامتين، وكان له الدور البارز في العهد النبوي، وكان له أيضاً نفس الدور بعده؛ ولذا فمن المهم الاهتمام بقضية استشهاده التي فيها ما يتعلق بنا كأمة تعيش أحداثاً مأساوية عاصفة وفتنوية شديدة، وتعرضنا لتهديدٍ وجوديٍّ ومصيريٍّ، وخطر محدق جدي وحقيقي، خطر التكفير والجماعات التكفيرية التي قتلته عليه السلام وهي تدعى الإسلام، ويستخدمها اليوم العدو الصهيوني الأمريكي لضرب الإسلام والمسلمين من الداخل وفي العمق من دون أن يضحي بقطرة دم واحدة ودون أن يخسر دولاراً واحداً.

وفي استشهاده نفهم قسمه بالفوز بعد ضربه بالسيف بقوله: (فزت ورب الكعبة) بعد أن خاض معارك ضارية، وجاهد جهاداً عظيماً ومضنياً في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحت قيادته ضد المشركين واليهود والأعراب وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخصوصاً حين تولى

الخلافة، وقاد حركة التصحيح والتحصين للأمة وواجه الانحراف متمثلاً في القاسطين البغاة، والناكثين، والخوارج التكفيريين، وكلهم مسلمون، ثم يُقتل عليه السلام على يدِ مسلم، وقسمه الشهير (فزت ورب الكعبة) ما زال يدوِّي حتى اليوم، فكيف فاز وقد قُتل على يد شخص محسوب على المسلمين وعلى الأمة؟ وكيف كان يمتلك بصيرة قوية في كل حروبه وقتاله أصنافاً من أبناء الأمة انحرفوا عن جادة الطريق ولم يتهرب من مسؤوليته ولم يتحرج من القيام بواجبه؟

ولهذا فليس استشهاد الإمام علي عليه السلام عبارة عن تقليد سنوي تعوّدنا عليه في شهر رمضان من كل عام، أو تمثل بالنسبة لنا مجرد إحدى الشعائر التي تميزنا عن الآخرين، كما أنها ليست لإثبات تشيعنا فيه وارتباطنا به، وأيضاً ليست ذات بعد مذهبي أو طائفي، وكذلك ليست قضية نتناولها من البعد التاريخي، أو نحييها كظاهرة إعلامية، أو للبكاء والتألم والحزن عليه، أو لسماع بعض أشعار المراثي، وإلقاء الكلمات والخطابات وكتابة أوراق العمل والمقالات بطريقة عابرة.

لسنا في محضر إدانة الجريمة بحقه فحسب أو للتنديد والشجب أو لأخذ العبرة والعظة مما حدث فقط، بل نحن في مقام استلهام القدوة منه عليه السلام في بصيرته وثباته وجهاده داخل الأمة وفي طريقة استشهاده وكيف أن الشهادة ليست محصورة في قتال أعداء الإسلام الخارجيين،

بل هي أيضاً في قتال أعداء الإسلام الداخليين، وهو ما نمر به اليوم في هذا العصر وبدون علي عليه السلام سنتوه وستنطلي علينا شبهات مسلم يقتل مسلماً ولا شهداء إلا ضد المشركين واليهود وكثير من هذا الكلام.

إذاً فهي مناسبة للاستزادة من بصيرته عليه السلام في كل ما نواجهه من حروبٍ داخلية في مواجهة التكفيريين والعملاء والخونة والمرتزقة والمنافقين.

وهي مناسبة أيضاً لفهم معنى الشهادة لنقدِّر فيها شهداءنا الذين سقطوا دفاعاً عن الأمة والدين والوطن والعرض والشعب والسيادة في كل جبهات القتال ضد العدوان السعودي الأمريكي، أو سقطوا ويسقطون على أيدي الانتحاريين التكفيريين بالأحزمة والعبوات الناسفة والسيارات المفخخة وبأسلوب الاغتيالات والغدر داخل المساجد والأسواق والتجمعات وفي أماكن أخرى.

وهي مناسبة كذلك لفهم الفكر التكفيري وخطورته وأنهم شر البرية، ولنفهم خلفية جرائمهم، وتعطينا رؤية تشخيصية صحيحة لهذا الفكر الخطير، ونضع على ضوئها استراتيجية لمواجهته في حالة السلم وفي الحرب وكيفية التعامل مع حامليه، ومعرفة فقه السير والأحكام الشرعية في قتال البغاة.

وبدون ذلك فسنكون ممن يضرب علياً عليه السلام مرة أخرى في يوم استشهاده سواء بسيف الغلو، أو بسيف المذهب، والطائفة، ونقطعه أشلاء ونفرق دمه بين المذاهب.

إيجاز مراحل حياة الإمام علي عليه السلام

هو: علي بن أبي طالب.

أبوه: أبو طالب ناصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكافله والمدافع عنه والحامي له.

أمه: فاطمة بنت أسد التي رعت وربّت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واهتمت به أكثر من أولادها حتى اعتبرها أمه.

ويمكن تقسيم حياة الإمام علي عليه السلام إلى خمس مراحل، وسنذكر كل مرحلة بإيجاز شديد.

المرحلة الأولى: من مولده عليه السلام حتى البعثة النبوية

وُلد داخل جوف الكعبة ولم يولد أحد قبله فيها ولا بعده.

ترعرع تحت ناظري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد بين ذلك عليه السلام بقوله: (وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ، وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ

مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً، وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي.

المرحلة الثانية: من البعثة حتى الهجرة

يقول عليه السلام: (وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ، فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ).

فلم يتلوث قط بملة الشرك والكفر فلم يسجد لصنم، ولم يعرف قلبُه ملةً غيرَ ملةِ الإسلام؛ ولذلك نقول عنه: كرم الله وجهه، بل لا نجانب الصواب إن قلنا: إنه ولد مسلماً حيث كل مولود يولد على الفطرة، وفطرته عليه السلام لم تشبها شائبة، ولم تتلطخ بشيء من أمور الجاهلية يقول عليه السلام عن علاقته برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (وَاللَّهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ)، ويقول رداً على من اتهمه بالكذب: (وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَلِيٌّ يَكْذِبُ، قَاتَلَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ؟ أَعَلَى اللَّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ؟ أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ؟)، وكان له الدور البارز في

تصديق رسول الله ﷺ ومؤازرته؛ ففي الهجرة كان الفدائي الأول والاستشهادي الأعظم، حيث بات في فراش رسول الله ﷺ متحدياً الموت وغير آبه بضربات سيوف المشركين، وأنجاه الله منها.

المرحلة الثالثة: من الهجرة حتى وفاة النبي ﷺ

خلال هذه المرحلة كان الإمام علي عليه السلام بطل الإسلام في كل الغزوات.

ففي يوم بدر حصد بضربات سيفه أكثر من ثلث قتلى المشركين، واشترك في الثلثين بقية جيشُ المسلمين.

وفي يوم أحد كان المواسي لرسول الله ﷺ بعد أن فرَّ عنه أغلبُ أصحابه حتى تعجَّب جبريل من بسالته واستماتته، وقال لرسول الله ﷺ: (إن هذه لهي المواساة، لقد عجبت منها الملائكة)، فقال ﷺ: (وما يمنعه من ذلك وهو مني وأنا منه)، فقال جبريل عليه السلام: (وأنا منكما)، ونادى بين السماء والأرض: (لا فتى إلا علي، ولا سيف إلا ذو الفقار).

وفي يوم الأحزاب كان الوحيد الذي تقدّم لمبارزة عمرو بن عبد ود العامري بعد أن أحجم عن ذلك كل المسلمين والرسول ﷺ يقول لهم:

(من لعمرو وأنا ضمين له بالجنة)، فضربه ضربة عزَّ بها الإسلام، وقال رسول الله ﷺ عنه (برز الإيمان كله للشرك كله) وقال عن ضربته: (لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل عند الله من أعمال أمتي إلى يوم القيامة)

وفي يوم خيبر بعد أن تمنع حصن خيبر أمام المسلمين وعجزوا عن فتحه وضاق بهم الأمر، وكان عليه السلام أرمد لا يبصر موضع قدميه، قال الرسول ﷺ: (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، يفتح الله على يديه)، وفي الغد أعطاه الراية وفتح حصن خيبر.

وفي يوم حنين بعد أن اغتر المسلمون بكثرتهم وتراجعوا ثبت عليه السلام حتى تغير مسار المعركة لصالح المسلمين.

وفي غزوة تبوك التي لم يحصل فيها قتال استخلفه رسول الله عليه السلام وقال له: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي).

وفي يوم غدير خم أعلن رسول الله ﷺ ولايته عليه السلام بقوله: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله).

المرحلة الرابعة: من وفاة رسول الله ﷺ حتى خلافته عليه السلام

في هذه المرحلة الهامة من تاريخ الأمة الإسلامية والبشرية بانقطاع الوحي بوفاة رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين أُقصي عليه السلام من الخلافة، ومع ذلك كان الملاذ عند الشدائد، والمرجع الذي يرجع إليه الجميع بمن فيهم من تقدّمه في الخلافة، وكان في هذه المرحلة حريصاً على الإسلام ووحدة الأمة يقول عليه السلام : (لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً، الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ).

المرحلة الخامسة: من خلافته عليه السلام حتى استشهاده

تولى الخلافة بعد مقتل عثمان وقد خرج الناس إليه مبايعين يقول عليه السلام: (بَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ)، ويقول عليه السلام مخاطباً أناسا من المسلمين: (بَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ، وَوُطِئَ الضَّعِيفُ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ،

وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ).

وفي خلافته حدثت الأحداث العاتية، فواجه الانحراف، فقاتل على تأويل القرآن كما قاتل على تنزيله.

ففي يوم الجمل قاتل الناكثين طلحة والزبير وعائشة أوائل خلافته، وكان يقيم الحجة عليهم أولاً، فإن أبوا قام بمسؤوليته وقاتلهم إرضاء لله، يقول عليه السلام: (إِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَعِلْمِهِ فِيهِم، فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ الْبَاطِلِ وَنَاصِراً لِلْحَقِّ، وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ، وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ، هَبِلَتْهُمُ الْهَبُولُ، لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ، وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي). وكان يضرب فيهم يميناً وشمالاً ولا يرجع إلا وقد انحنى سيفه، فيسويه بركبته، ويقول: (ما أريد بذلك إلا وجه الله والدار الآخرة).

وبعد نصر الله له أكرم أم المؤمنين عائشة، وردها إلى بيتها في المدينة معززة مكرمة.

وفي يوم صفين قاتل وجاهد عليه السلام القاسطين البغاة معاوية وعمرو بن العاص وفئتهم الباغية، وكان يقول: (سيروا إلى قتال أهل الشام العتاة الطغاة، سيروا إلى أولياء الشيطان، وأعداء السنة والقرآن، سيروا إلى بقية الأحزاب، سيروا إلى الكذبة الفجار، قتلة المهاجرين

والأنصار)، وكان في جيشه أكثر من ثمانين من أصحاب بدر وأكثر من ثمان مئة ممن بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة بيعة الرضوان، يقول عليه السلام عن قتاله للفئة الباغية: (وَقَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ)، وفي ليلة الهرير التي التقى فيها الجيشان فارتموا بالنبل حتى فنيت، ثم تطاعنوا بالرماح حتى تكسّرت، ثم مشى بعضهم إلى بعض بالسيوف وعمد الحديد، فلم يسمع السامعون إلا وقع الحديد بعضه على بعض، لهو أشد هولاً في صدور الرجال من الصواعق، في هذه الليلة كان عليه السلام كلما قتل أحداً كبر تكبيرة حتى أحصيت تكبيراته أكثر من خمس مئة، فكان قتلاه في هذه الليلة وحدها بعدد تكبيراته، وعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف على الرماح لما أيقنوا بالهلاك، فكانت خدعة ماكرة تلاها التحكيم وانشقاق الخوارج من جيشه عليه السلام.

وفي يوم النهروان واجه عليه السلام الخوارج الذين كفروه بعد أن حاججهم وبعد أن ارتكبوا الجرائم البشعة بحق المسلمين.

وفي ليلة التاسع عشر من رمضان وهو يصلي في الفجر في

محراب مسجده بالكوفة ضربه أشقى الأولين والآخرين الخارجي عبد الرحمن بن ملجم على هامته، حتى سال الدم على لحيته، وصرخ عليه السلام: (فزت ورب الكعبة)، وما بين مولده داخل الكعبة وضربه داخل مسجده وفي محرابه وهو ساجد متجه إلى الكعبة، وما تخلل ذلك من أحداث، كان على بصيرة من الله بما يقوم به، وقد أخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكل ذلك، فكما جاهد المشركين واليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاهد أيضاً الفئة الباغية القاسطين، والناكثين، والمارقين الخوارج التكفيريين وهو على البصيرة نفسها، وكما كان متميزاً في إيمانه وعلمه وجهاده وعبادته وكل جوانب العظمة والكمال الإنساني كان متميزاً باستشهاده وبكل تفاصيل شهادته.

لماذا علي عليه السلام؟

لماذا الحديث عن علي عليه السلام والتركيز عليه وإحياء مناسبة استشهاده، والاحتفال بيوم ولايته والاهتمام بكل ما يتعلق به؟

لأننا حين نتصفح صفحات الإسلام سنجد في أول صفحة في ثاني سطر منها عليا، بعد سطر محمد، وسنقرأ في ثنايا الصفحات الأخرى ما قاله رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم في علي عليه السلام في صفحة السبق، وفي صفحة العلم، وصفحة العبادة، وصفحة الورع، وصفحة الزهد، وصفحة الجهاد في ليلة الهجرة، وفي بدر، وأحد، والأحزاب، وخيبر، وحنين، وهكذا صفحة صفحة ..

ولهذا لا عجب حين نقرأ عن علي عليه السلام في صفحات القرآن الكريم وتفاسيره، وفي كتب الأحاديث، والسيرة النبوية، وفي كتب الأخلاق، وفي حلقات الدروس العلمية، والأخلاقية، وفي الجانب العسكري، وفي مختلف المجالات.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤكِّد على علي عليه السلام، ويسلِّط الأضواء عليه ويشدُّ الناسَ إليه، بل ويخبر عن مستقبله من بعده ويحذِّر من مخالفته.

وعندما يتأمل الإنسان كلَّ هذا الحرص النبوي على ربط الناس بعلي عليه السلام يجد أن دوره لن يقتصر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا حتى على حياته عليه السلام نفسه، بل سيمتد إلى يوم القيامة وسيبقى دوره خالداً وفاعلاً وضرورياً داخل الأمة، وما علينا إلا أن نتلمّس هذا الدور في عصرنا حتى نسعد بالتوجيه النبوي بضرورة الارتباط به.

دعونا نفكر قليلاً في كل هذا الاهتمام النبوي بهذه الشخصية الفذة والتي كان منها الإخبار بما ستلاقي من إحن ومحن، وكيف ستمضي بالحق في ظل الأحداث العاتية والفتن الشديدة التي ستقع فيها الأمة، وقد وقعت فعلاً، بل لقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن استشهاد هذه الشخصية، وطريقة ذلك وكان كل ذلك إخبارا عن المستقبل بالنسبة للصحابة الذين رأوا النبي وسمعوه وصحبوه، وكانوا يتلقون منه مباشرة، وكان هذا جزءا من الهداية لهم حتى لا ينحرفوا عن جادة الطريق بعد رحيله بانحرافهم عن علي عليه السلام، وضرورة وقوفهم إلى جانبه وعدم الافتراق عنه، ولكن ما إن غادر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الحياة الدنيا حتى أُقصي عليه السلام من مكانه المفترض، وأُزيح من مقامه وتنكر الناس له، وحين أتت الأحداث والفتن أيام خلافته وقف معه من وقف وتخلى عنه كثيرون، بل ووقف ضده كثيرون، وكأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ينبس ببنت شفه عنه عليه السلام وعن صوابية مساره.

حدث ما حدث وفي الأخير يتحقق ما أخبر بـه الرسـول ﷺ فيمـا يتعلق باستشهاده عليه السلام، فيُضرب في نهاية المطـاف، وهـو سـاجد في الفجر في محراب مسجد الكوفة في قلب عاصمة الدولة الإسلامية آنذاك في شهر رمضان، ويستشهد وتصعد روحه إلى بارئها، ويوارى جثمانه الطاهر الثرى هناك في الغري، في النجف الأشرف اليـوم. فهـل انتهـت فترة صلاحية الاهتمام النبوي وحرارة التوجيهات للمسلمين مـن بعـد استشهاده؟ هل انتهى كل ذلك ؟ لا وألف لا، فمثلما أمر النبي أصحابه ومن كان في عهده باتباع علي عليه السلام أيام الفتنة وعدم التخلف عنه فـإن هذا الأمر بالنسبة إلينا هو العودة إلى علي عليه السلام من جديد، والاستبصار به في ظل الفتن التي نعيشها، والمضي على نهجه في مقارعة المنحـرفين من المحسوبين على الإسلام حين تبلغ الحجة، فنقاتل كما قاتل، ونجاهد داخل الأمة وخارجها كما جاهد، وأن نتمنى الشهادة العظيمة، ونفـوز ورب الكعبة كما فاز على أيدي أشقى الخلق والخليقة، شر البرية مـن التكفيريين والخوارج والدواعش والقاعديين ومن عـلى شـاكلتهم مـن العملاء والمرتزقة والخونة المتحالفين مع الصهيونية والمقاتلين في صف أمريكا.

كيف نعود إلى علي عليه السلام؟

ليست العودة إلى علي عليه السلام مجرد كلام، أو إقامة مراسيم تتعلق به، أو لكون المرء زيدياً أو شيعياً، ولكن العودة إليه هي الاقتداء به، والانطلاق من خلال مواقفه، وشحن بصيرتنا من بصيرته، وتحرير تصورنا عنه أنه مجرد مجموعة من الفضائل التي قيلت فيه أو التي قام بها، بل فضائله مواقف وعمل وحركة على أرض الواقع، اكتسب من خلالها الفضل، ومن الخطأ اعتبارها مجرد مدح نبوي له أو ثناء فقط نرددها ونكررها ونتذكرها على هذا الأساس.

سنأخذ نموذجا واحدا من هذه الفضائل الكثيرة - التي نعجز عن استقصائها – وسنحاول استعراضها بإيجاز، ونستخلص كيفية العودة إلى علي عليه السلام وكيف يمكننا التحرك من خلالها؟

علي مع القرآن والقرآن مع علي

لهذا الحديث النبوي والفضيلة العظيمة أبعاد كثيرة سنقتصر على أربعة منها.

البعد الأول: إذا كان (علي مع القرآن) فقد يقول قائل: علي قد استشهد، وفارق الحياة الدنيا فانتهى الموضوع، لكن (القرآن مع علي) يؤكد أن علياً عليه السلام ما زال دوره وفاعليته حاضرة وملموسة طالما دور

القرآن وفاعليته حاضرة وملموسة على أرض الواقع، ومن هنا فإن علاقتنا بالقرآن الكريم يجب أن تنطلق من علي عليه السلام النموذج الناطق له من قرينه الصورة الواقعية له في ميدان الحياة، ومن خلال علاقته بالقرآن تكون علاقتنا ومواقفه تكون مواقفنا قرآنية، ومن ناحية ثانية فيجب أيضاً أن تكون علاقتنا بعلي علاقة صحيحة متوازنة بين القول والعمل، ولا يطغى جانب على جانب آخر، بحيث لا نأخذ من علي أو القرآن جانباً على حساب الجوانب الأخرى؛ لأن العلاقة بين هذه المصادر التشريعية هي التكامل والتلازم، فلا نأخذ مثلاً جانب العلم على حساب الجهاد ولا الجانب الجهادي على حساب الالتزام الديني والعبادي والأخلاقي وهكذا.

البعد الثاني: المواقف التي وقفها الإمام علي عليه السلام دفاعاً عن الإسلام في بدر وأحد والأحزاب وخيبر وحنين هي مواقف قرآنية بامتياز، ولا خلاف في ذلك، ومثلها مواقفه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يتعلق بالخلافة، ومن التنكر له في هذه القضية الحساسة أن يكون موقفنا أدنى من موقفه، أو فوقه، وكفى بموقفه فيصلا في المسألة برمتها، ومواقفه أثناء خلافته والتي وقفها دفاعاً عن الإسلام في صفين والجمل والنهروان هي أيضاً مواقف قرآنية؛ لأن علياً مع القرآن

والقرآن مع علي، ولا مجال هنا للافتتان بأن ما حصل فتنة وكلهم صحابة بحجة أنه خلاف داخلي في الأمة وكلهم مسلمون، فيتخذ المرء موقفاً متذبذباً يصوِّب الجميع فهذا غير منطقي لأن الصحابة أنفسهم ملزمون باتباع علي والقرآن لأن عليا مع القرآن والقرآن مع علي، ولو كان القرآن رجلاً لفعل مثلما فعل الإمام علي بدون زيادة أو نقصان، وبدون فوراق حتى في التفاصيل.

البعد الثالث: في عصرنا الحاضر والمسلمون طائفتان كبيرتان، شيعة وسنة، نجد في هذا الحديث النبوي والفضيلة العلوية توجيها مباشرا للوحدة بينهما ويقدم الطريقة العملية المثلى للوحدة أيضاً.

ينقسم نص الحديث إلى عبارتين:

العبارة الأولى: (علي مع القرآن) وكأن هذه العبارة توجيه للشيعة الذين يتعلقون بعلي عليه السلام، يقول لهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: علي مع القرآن، بمعنى: إذا كنتم صادقين أنكم مع علي فعلي مع القرآن، فكونوا مع القرآن، فعلي هو من جسّد القرآن مواقف عملية على أرض الواقع، وعلي لم يقفز فوق توجيهات القرآن بشطحات مذهبية، ولم يستكِنْ ولم يتأطر ببعض العقائد التي لا يقبلها عقل ولا منطق، وأخلاقه ليس فيها تكفير ولا سب لبعض رموز بقية المسلمين ممن لم يلعنهم علي، ومن ادعى أنه متشيع فيه ويخالف القرآن فهو في الحقيقة قد ابتعد

عنه بقدر ابتعاده عن القرآن، ومثلما أصبح القرآن بالنسبة له مجرد كلام يُتلى سيصبح عليٌّ مجرد قصة تروى.

العبارة الثانية: (القرآن مع علي) وكأن هذه العبارة توجيه مباشر لأهل السنة الذين يتجاوزن علياً عليه السلام، ويقولون: كتاب الله وسنة رسوله، تقول السنة: إن القرآن مع علي، فإذا أردتم القرآن صادقين فعلي هو الجانب العملي والتطبيقي للقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبدون علي وهو المثال العملي للقرآن يصبح الحديث عن القرآن أقل فاعلية، بل ربما أصبح القرآن عندكم مجرد أصوات جميلة تتغنى بالقرآن، وتنطلي عليكم الشبهات، وتغرقون في التأويلات، وبقدر ابتعادكم عن علي تبتعدون عن القرآن، وكم خرج منكم للأسف تكفيريون وخوارج ابتليت بهم الأمة، بسبب غياب أو تغييب نموذج علي عليه السلام عنكم.

البعد الرابع: بما أن القرآن الكريم هو المخرج من الفتن التي هي كقطع الليل المظلم حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ستكون فتن كقطع الليل المظلم)، فقال الإمام علي عليه السلام: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال : (كتاب الله ...الخ)، فالإمام علي نفسه كذلك هو مخرج عملي من الفتن الهائجة التي تعصف بالأمة والتي عصفت بها سابقاً؛ لأنه مع

القرآن والقرآن معه.

وإن أشد فتنة تعصف بالأمة اليوم هي فتنة داعش وأخواتها، فتنة التكفير، ولا مجال للخروج منها إلا بالقرآن وبعلي عليه السلام؛ لأن النصر معقود بولايته. ولأن الحق معه يدور معه حيث دار، وطالما لم تحسم الأمة موقفها ممن قاتله عليه السلام، وتضعهم في مكانهم الصحيح في خانة الباطل الذي قاتل الحق والقرآن، وطالما تعتقد صوابيتهم ومشروعية الاقتداء بهم وإعطاءهم الأجر على قتالهم إياه - فإن شلالات الدماء ستستمر في التدفق لصالح الصهيونية والمشاريع الأمريكية في العالم، خصوصاً أنه عليه السلام واجه كل التحديات التي قادها ممن يطلق عليهم البعض: صحابة في زمنه، أو بمعنى أصح واجهوه هم وابتدأوا بشن عدوانهم الغاشم على الأمة، ولم يقبلوا النصح، ولم ينتهوا عن باطلهم، وما يجري اليوم هو تكرار لما حدث بالأمس معه عليه السلام، وعدم حسم الموقف يشرعن لما يحدث اليوم من اقتتال؛ لأن الصحابة اقتتلوا (وبأيهم اقتديتم اهتديتم) و (كلهم عدول)، ومع ذلك فقد اختط عليه السلام طريق الحق من بين ركام الباطل والشبهات والتلبيس والخداع والزيف والانحراف، ولم يشك أو يتردد أو يتراجع أو يندم، وكان منطلقه كما قال: (أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ)، وكان نتيجة موقفه وبصيرته أن فاز ورب الكعبة.

فمن علي عليه السلام نستمد البصيرة العملية من القرآن، وفي أحقية موقفنا تجاه فتنة داعش والتكفيريين ومشتقاتهما والمرتزقة والعملاء، ومنه نستمد الفوز بالشهادة في سبيل الله إن قُتلنا، وأجر الجهاد إن قَتلنا.

فزت ورب الكعبة

لقد استشهد عليه السلام بطريقة الغدر واغتيل بتهمة الكفر، على يد شخصٍ حافظٍ للقرآن، ومتعبِّد ومتديِّن ليتقرب إلى الله بذلك - حسب اعتقاده -، داخل محراب المسجد، وهو في حالة سجود، في صلاة، في شهر رمضان، عند الفجر؛ ففاز عليه السلام بالشهادة وخسرت الأمة أيما خسارة وما زالت إلى اليوم تخسر.

ورغم فوز الإمام علي عليه السلام بالشهادة على يد أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود والتي ترافقت بمظلوميته الكبيرة، إلا أنها بالنسبة لنا مأساة وخسارة فادحة نحن بحاجة ماسَّة للوقوف عندها طويلاً لنفهم ما حدث! ولماذا؟ وكيف؟ وبأي فكر؟ وبأي أسلوب؟ ومتى؟ وأين؟ وما علاقة ذلك بواقعنا المثخن بالجراح؟ حتى نستخلص الرؤية الصحيحة التشخيصية لمشكلتنا اليوم مع الفكر التكفيري، ونستوعب مفهوم الشهادة فيما يحدث من أحداث داخل الأمة ونستوحي البصيرة في جهادنا وقتالنا، ونخرج باستراتيجية فعالة

لمعالجة هذه الفتنة من حيث الفكر، ومواجهته من حيث الفعل.

إنها لمفارقة مؤلمة جداً حين نجد الإمام علياً عليه السلام - الذي خاض غمرات الموت في غزوات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جهاداً في سبيل الله، وشهَر سيفه في وجه المشركين واليهود، وكان له الدور البارز من بين الجميع، وكانت ضربات سيفه تغير مجرى الأحداث، وتصنع المتغيرات، وتنقل المسلمين نقلات نوعية في صراعهم مع الباطل، وقدَّم نفسه قربانا لله ليلة الهجرة، وكان الفدائي والاستشهادي الأول - يُظلم بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وحين تولى الخلافة يشهِرُ كثيرٌ من المسلمين سيوفهم في وجهه يريدون قتله، وفعلاً كان جزاؤه منهم وجزاء ضرباته الحيدرية أن يضربه محسوب على المسلمين بالسيف ضربة على هامته وهو في محراب الله وبعد استشهاده يُسن سبُّه على المنابر عشرات السنوات، ويُقتل من لم يتبرأ منه كحجر بن عدي وأبنائه ويُقتل أبناؤه وأحفاده ومحبوه.

إن أبشع ما في الجريمة التي أودت بحياته على الرغم من حدوثها في المسجد وفي رمضان وغيرها من التفاصيل الأخرى التي انتُهكت فيها الكثير من الحرمات - هو قتل الإمام علي عليه السلام؛ لأن حرمته أعظم من حرمة المساجد وشهر مضان، وإذا كانت حرمة دم المؤمن أعظم من حرمة الكعبة لو هُدمت حجراً حجراً، فكيف بحرمة الإمام علي عليه السلام

والتي بانتهاكها انتهكت حرمة كل مؤمن من بعده، ولم يتحرَّج القتلة من قتل غيره من العظماء والقادة كابنيه الحسن والحسين، وسلسلة طويلة من العظماء الذين سقطوا شهداء وليس آخرهم السيد حسين بدر الدين الحوثي على أيدي المسلمين أنفسهم.

تحليل الجريمة وارتباطها بواقعنا

لماذا قاتِلُه أشقى الأولين والآخرين؟

هناك نقطة مهمة يجب التنبه لها وهو أن عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله هو الذي باشر جريمة قتل الإمام علي عليه السلام، وليس الوحيد الذي قتله، ولكنه أشقى الأشقياء بمعنى أن هناك أشقياء آخرين معه شاركوه في جريمته، وكما قال الله تعالى عن عاقر ناقة ثمود: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۞ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۞ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۞ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۞ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، فانبعث أشقى قوم ثمود الأشقياء وباشر عقر الناقة، ومع ذلك عقروها جميعاً، لأن قتل الناقة قضيتهم جميعاً، وقد دعموا أشقاهم المباشر لعقرها بالدعم الكافي، سواء الدعم المباشر أو اللوجيستي من تخطيط وتشجيع وتحريض وترتيب للعملية إلى آخر هذه الأشياء، وكان مع شقائه ذلك عبارة عن أداة استخدمها القوم لعقر الناقة، وكانت النتيجة بعد عقرها أن شعروا جميعاً بالنصر والرضا، ونزل العذاب على الجميع كونهم ارتكبوا الجريمة.

وجريمة قتل الإمام علي عليه السلام على هذا المنوال، ونحن لا نسلط الضوء على أشقى الأشقياء عبد الرحمن بن ملجم فحسب؛ لأن هذا من

الخطأ؛ لأن ذلك يوهم براءة شركائه الأشقياء معه، بل نكشف عنهم في هذه الجريمة، وفي نفس الوقت نكتشف أشقياء اليوم وأساليبهم وطرقهم وما يتعلق بجرائمهم في الأمة في هذا العصر؛ لأن ضرب الإمام علي عليه السلام هو ضرب للقران؛ حيث علي مع القرآن، والقرآن مع علي، وضرب للحق؛ حيث علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث دار، وضرب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه من علي وعلي منه، وضرب للإيمان ونعش للنفاق؛ لأن حبه إيمان وبغضه نفاق، وضرب للولاية؛ لأن من كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مولاه فعلي مولاه، وضرب للنصر؛ لأن الله ينصر من نصره، وضربه خذلان للأمة؛ لأن الله يخذل من خذله، وهو ضرب للتاريخ والقيم والمبادئ، إنه ضرب للإسلام على أم رأسه، وهو ضرب للأمة بأسرها حتى اليوم.

لماذا قُتل عليه السلام؟ ما هي الدوافع والأسباب؟

هنا لا بد لنا أن نؤكد كما أسلفنا أن عبد الرحمن بن ملجم لم يكن الشقي والمجرم الوحيد، بل هو الأشقى بمباشرته الجريمة، وهناك من الأشقياء ممن كان لهم صلة مباشرة به كالأشعث بن قيس وقطام والخوارج، أو لهم صلة به غير مباشره من ناحية العداوة للإمام علي عليه السلام والتقاء المصلحة في التخلص منه، وقتله كمعاوية ابن أبي

سفيان ومن على شاكلته؛ ولهذا فدافع الجريمة متعدد بتعدد المجرمين، وما دافع ابن ملجم للجريمة إلا واحد من الدوافع.

كان دافع ابن ملجم هو تكفير الإمام علي عليه السلام، وانتقاماً للخوارج في النهروان الذين كفروه أيضاً وانشقوا عنه فبعد أن كانوا من ضمن جيشه في وجه الفئة الباغية بقيادة معاوية بن أبي سفيان.

ولكن من صنع الخوارج؟ ومن يصنع التكفيريين؟ ومن يستخدمهم؟

وهذا سؤال في غاية الأهمية ويكشف عن المجرمين الآخرين، وبالعودة إلى قضية التحكيم بعد أن رجحت الكفة لصالح الإمام علي عليه السلام، وبدأ معاوية وجيشه بالانهيار، وأيقنوا بالهزيمة الساحقة في صفين رفع معاوية بمشورة عمرو بن العاص المصاحف على أعلى الرماح ليشق صف جيش الإمام علي عليه السلام ويزرع الخلاف فيه، وفعلاً أحجم عن القتال جزءٌ من الجيش، والذين عُرفوا بالخوارج، بحجة أن القوم قد حكموا القرآن ويجب إيقاف القتال، فرفض الإمام علي عليه السلام ذلك، ونبَّههم لخطورة المكيدة لكن دون جدوى، فأصروا حتى كاد القتال ينشب داخل الجيش، فاضطر الإمام للقبول بالتحكيم، فانتدب عبد الله بن عباس، فرفض الخوارج وأصروا على أبي موسى الأشعري على الرغم أنه لم يكن في صف الإمام علي، بل كان من المعارضين له

والمخذِّلين عنه، وانتدب معاوية عمرو بن العاص صاحب مكيدة رفع المصاحف، وانتهى التحكيم بخلع أبي موسى الأشعري الإمام علياً عليه السلام كما خلعِ خاتمه، وخلَع الخاتم أمام الناس، وكان المفترض حسب الاتفاق بين الحكمين عمرو وأبي موسى أن يقوم عمرو بن العاص بخلع معاوية بنفس الطريقة، لكن ما حدث أن خلع عمرو خاتمه ثم ثبته في إصبعه، وقال: وأنا أثبت صاحبي يقصد معاوية كما أثبت خاتمي.

على إثر ذلك كفّر الخوارج أنفسهم وكفروا الإمام علياً عليه السلام ومن معه بحجة القبول بالتحكيم، على الرغم أنهم هم من عمل على ذلك، فانشقوا عنه وخرجوا عليه في النهروان، فقاتلهم وقتلهم الإمام علي عليه السلام إلا النزر اليسير منهم بسبب ما ارتكبوا من الجرائم البشعة بحق المسلمين، ولم يقاتلهم بسبب معارضتهم له، أو انشقاقهم عنه، أو تكفيرهم إياه.

وعند التأمل البسيط لما حدث يستنتج الباحث أنه كان هناك اختراق مخابراتي وعملاء في جيش الإمام علي عليه السلام يعملون لصالح معاوية، وما رُفِعَت المصاحف إلا بتنسيق بين هؤلاء العملاء وبين معاوية، وعلى رأسهم الأشعث بن قيس، أضف إلى ذلك أن معاوية

استطاع شراء قادة في جيش الإمام واستقطاب آخرين، والتاريخ شاهد على ذلك.

ومن خلال ذلك ندرك أن الخوارج والتكفيريين ليسوا منظمين بذاتهم، بل كان هناك من يستغلهم ويستخدمهم ويديرهم عن بعد دون أن يشعروا؛ لينفذوا ما يريده دون أن تلحقه تهمة، أو يتحمل مسؤولية، أو تسلط الأضواء عليه.

وعبد الرحمن بن ملجم كان هكذا، وكان لديه فريق لتنفيذ الجريمة، وفريق آخر خفي هو فريق معاوية الذي أشرف بنفسه على عملية الاغتيال؛ كون وجود الإمام عليه السلام يقف حاجزاً أمام طموحه ومصالحه.

قد يصعب إثبات ذلك تاريخياً؛ لكن هناك شعر لأبي الأسود الدؤلي يثبت ذلك، ومن المرجح أن معاوية الذي استولى على الحكم فيما بعد، تستر على هذه الجريمة، ولم يسمح بكشف أوراقها، كما يتستر اليوم الأمريكيون والصهاينة على جرائم القاعدة وداعش، مع علمنا أنهم هم من يسيرونهم، ويتحكمون بعملياتهم..

وبالعودة إلى ابن ملجم ودوافعه فإن التكفير هو الدافع الأبرز مع دافع الانتقام، وعشق قطام الذي طرأ حين رآها في الكوفة التي دخلها لتنفيذ الجريمة.

فالتكفير سلاح فتاك بيد أعداء الأمة؛ ولذلك أُعِدَّت له مناهج خاصة، وبنيت له المراكز والجامعات، وأُنشئت له الجمعيات لتعليم التكفير وتعليم صناعة المفخخات من أحزمة وعبوات وسيارات وطرق اغتيالات، ويحظى برعاية دولية وإقليمية، وترعاه وتموله دول النفط العربي، ويثقفه علماء قرن الشيطان، ويُصنع التكفيريون صناعة، ويوزعون توزيعاً حسب الحاجة الأمريكية لضرب الأمة، حتى إذا ما ضُرِبت وأصبحت سهلة المنال يستخدمونهم كمبرر لمكافحة ما يسمى بالإرهاب بعد اكتمال مهمتهم، وليست أفغانستان منا ببعيدة.

ومما يجدر التأمل له هو تكفير الإمام علي عليه السلام، ولأنه حدث فعلاً فلا غرابة أن يُكفّر من هم دون الإمام، ولا عجب أن نجد التكفيريين يكفرون الأمة والمسلمين ويستحلون دماءهم وأعراضهم بحجة السبي، وجهاد النكاح، ويرتكبون بحقهم أبشع الجرائم وأوحشها وأشدها وأخبثها.

كما لا عجب حين يكون مبرر تكفير المسلمين اليوم هو الارتباط بعلي والتشيع له، ومصطلحات كالرافضة، والشيعة، والمجوس.

ولا غرابة أن يستهدف التكفيريون رموز الأمة المعاصرين الذائدين عن حياضها المدافعين عن كرامتها؛ لأن هذه هي تهمتهم عند أعدائها

كما كانت تهمة الإمام علي عليه السلام عند معاوية.

فالإمام عليه السلام الذي هو أول من آمن ولم يسجد لصنم، ولم يدِنْ منذ أن أطل على الدنيا بغير الإسلام، والذي ما عرف قاتله الإسلام والقرآن إلا بفضل جهاده، وما صلى ولا صام إلا بفضله، وفي الأخير - ويا لها من مفارقة مؤلمة - يُقتَل غيلة وغدراً على اعتبار أنه كافر ويتقرب قاتله بدمه إلى الله كما يفعل التكفيريون بالغدر والاغتيالات وبالأساليب المعاصرة الجهنمية بأحزمتهم الناسفة وعبواتهم وسياراتهم المفخخة ويتقربون إلى الله بدماء المسلمين في المساجد والأسواق، فما أشقاهم، ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

ومن شقاء التكفيريين أن عدو الأمة الذي يتربص بها يعمل الجرائم بحق الأمة وتُحسب عليهم، ويقوم الظلمة من الحكام بالاغتيالات وتُنسب إليهم، فيقومون هم بالتغطية على جرائم غيرهم بالإضافة إلى جرائمهم.

أين ضرب؟ ومتى؟

ضرب عليه السلام كما ذكرنا سابقاً في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان وهو يصلي وقت الفجر داخل المحراب في المسجد، وهو نفس ما يفعله أشقياء العصر بالتفجير داخل المساجد وأوقات الصلوات دون

الاكتراث لأية حرمة، ويستهجن الناس ذلك، والبعض لا يستطيع أن يستوعب ذلك، على الرغم أن الرسول قد وضّح أن التكفيريين شر البرية، وشر الخلق والخليقة، وسنحقر صلاتنا إلى صلاتهم، وصيامنا إلى صيامهم، وقراءتنا للقران إلى قراءتهم، ولكنه لا يجاوز تراقيهم، ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويَدَعُون أهل الأوثان، وأنهم أحداث الأسنان بمعنى صغار السن، وهذا ملحوظ حيث لا نجد من ينخرط في هذه الجماعات وهو كبير السن، أو يفجر نفسه وهو كبير أيضاً – حسب علمنا –، بل كل الانتحاريين تقريباً صغار السن في مقتبل العمر.

معالجات للفكر التكفيري وجرائمه

بما أن الفكر التكفيري أضحى خطراً وجودياً يهدد الأمة ويدمرها، ويرتكب بحقها أبشع الجرائم الوحشية، ويفتك بها من داخلها، وأصبح أخطر ورقة بيد أعدائها، فإن الواجب - ونحن نتكلم عن استشهاد الإمام علي عليه السلام الذين كان ضحية هذا الفكر أيضاً - أن نبحث عن الطريقة المثلى في مواجهته والحد منه والقضاء عليه بمقتضى الفكر والسلوك العلوي تجاهه.

لا أعتقد أنه يمكن التعامل الصحيح مع هـذا الفكـر دون دراسـة حياة الإمام علي عليه السلام وطريقة تعامله مع هذا الفكـر وحامليـه، ومـع الفتن الداخلية التي واجهت الأمة في زمنه، واستلهام أحكام قتال البغاة والخوارج وغيرهم منه.

وإذا أردنا بشكلٍ جدِّي ومسؤول القيام بذلك فأمامنا ثلاث خطوات رئيسة:

الأولى: استخلاص الرؤية التشخيصية السليمة لظاهرة التكفير مع ما استجد فيها في هذا العصر.

الثانية: وضع استراتيجية للتعامل مع الفكر التكفـيري في الـسلم والحرب، من حيث أنه فكر، ومن حيث أنه سلوك إجرامي، وكـل هـذا بناء على الرؤية التشخيصية.

الثالثة: تحويل الاستراتيجية إلى عملٍ جادٍّ، وحركة حكيمـة، وبـالنفس الطويل مع عدم التهاون في المسائل الطارئة التي لا تقبل التأخير؛ لأن الحـل الأمني والمواجهة العسكرية جزء من الحل المؤقت وليست كل الحل.

الرؤية التشخيصية للفكر التكفيري وجرائمه

الفكر التكفيري هو مجموعة من الاعتقادات الخاطئة التـي ينـتج عنها سلوك إجرامي يعتقد صاحبه أنه على الحق ويرضي الله تعالى.

والتكفيريون في التاريخ عُرفوا بالخوارج، ولكن لا نجد نشاطاً كبيراً لهم عبر صفحات التاريخ وبهذا الحجم إلا في عصرنا هذا!

إذاً التكفيريون ليسوا محصورين في المصطلح التاريخي (الخوارج)؛ لأن التكفير في الحقيقة كما أسلفنا مجموعة تصورات وأفكار جهنمية، على رأسها تكفير المجتمع المسلم تنتج سلوكاً إجرامياً باسم الإسلام، فيستبيح المجتمع باستباحة دمه وعرضه وماله بشكل عدواني، وكل من كان بهذا الشكل فهو تكفيري بغض النظر عن المصطلحات والمسميات، وإن اختلفت بعض الاعتقادات أو تعددت أو اختلفوا سياسياً على الزعامة وإن تقاتلوا فيما بينهم.

والغالب على التكفير أنه ينتج فوضى أمنية عارمة، وفوضى سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية، ولا ضوابط لديه ويكون التكفيري في هذه الفوضى عبارة عن مسخ شيطاني.

ومن المهم هنا أن نفرق بين التكفيري من غيره؛ لأن التعميم خطأ، بحيث أن كل من نواجههم ليسوا كلهم تكفيريين، بل منهم مرتزقة وأصحاب مصالح ومنافقون وخونة وعملاء، بل بعضهم ليس في وارد الدين نهائياً لا سلباً ولا إيجاباً، فتفكيك منظومة العدو والتفريق بين تشكيلاته سيجعل من التكفيري وحيداً ضعيفاً غير قادر على التحرك

بمفرده، كما يمكننا من التعامل معه بما يقتضيه الحال.

كما إن إطلاق مصطلح التكفيري لا يعني تكفيره، بمعنى ليس التكفيري كافر، وإلا لكنا مما يشجع على التكفير ورغم إجرامهم وبشاعته فإنهم واقعاً وحكماً غير كفار.

فنظرتنا إلى التكفيريين لا بد أن تكون نظرة مسؤولة مستقاة من نظرة الإمام علي عليه السلام الذي لم يكفِّرهم، بل نسبهم إلى البغي، وكان - قبل أن يسفك التكفيريون دمه حتى سال إلى لحيته الشريفة في محراب مسجده في رمضان - قد سالت دموعه مراراً وتكراراً أسفاً وألماً وأسىً على الأوضاع التي وصلت إليها الأمة، وهذا ما يجعل منا أن نتألم مما نمر به كون ما يجري داخل الأمة وفي الغالب على أيدي أبنائها.

ثم إن التكفيريين اليوم ليسوا بمفردهم كما قلنا، بل هناك منظومة سياسية من حولهم من أنظمة، وسياسيين، وأحزاب، تستخدمهم وتوجههم وتقدم لهم الغطاء السياسي، وفي كثير من الأحيان الغطاء الرسمي، ومنظومة اقتصادية من تجار وجمعيات وتبرعات، ودعم مالي إقليمي من دول النفط وعلى رأسها قطر والسعودية ومن شخصيات ثرية، ومنظومة اجتماعية من مشائخ قبائل يهيئون لهم الحاضن الشعبي، والبيئة الخصبة، ومنظومة دينية من علماء ومفتين ومراكز تحفيظ وجامعات ودور باسم القرآن الكريم وعلومه ومساجد

للتحريض والشحن، ومنظومة إعلامية تُسَوِّق للأفكار التكفيرية والتحريضية، وتبث جرائم التكفير لتوهن من عزم الأمة كقناتي الجزيرة والعربية، وتوظفها لقطع خط المقاومة والتحرير والممانعة، بل وتتشفى بهذه الجرائم في المسلمين، ومنظومة أمنية وإدارية من المخابرات الدولية وبالخصوص الأمريكية والإسرائيلية والسعودية .

وعندما نعود إلى البحث عن كيفية نشأة التكفير في عصرنا بهذه القوة والانتشار فسنجد أن المسألة قد دُبِّرت بليل ومرتبة سلفاً، ومدروسة ومخططة مُسبقاً، فخاماته مما يسمى بالتراث الإسلامي والتاريخ الإسلامي، وعلى رأس ذلك فكر ابن تيمية الذي أصبح المرجع للتكفير، وشكَّل وصنَع من هذه الخامات العدو الغربي والصهيوني هذه الظاهرة وأوجد الجماعات التكفيرية، بعد بحوث ودراسات استراتيجية من قبل المستشرقين وضباط المخابرات العالمية، الذين درسوا تراثنا وتاريخنا وعقائدنا وفقهنا ومذاهبنا وطوائفنا وكل ما يتعلق بنا وبديننا، حتى أن المستشرق، أو ضابط المخابرات، أو مراكز البحث والدراسة يعرف عنا وعن ديننا أكثر من كثير من علماء الأمة نفسها.

ونحن للأسف لا نكلف أنفسنا عناء دراسة ظاهرة التكفير وسبب

انتشارها ودراسة مراجعه وعقائده وأقوال العلماء المؤيدين للجماعات التكفيرية وطريقة انتشارها ودراسة العوامل المساعدة لها من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية والفكرية الثقافية ودراسة العلاقة بينها وبين الأمريكيين والإسرائيليين وكيف نفكك هذه العلاقة أمام المجتمع.

ولا نكلف أنفسنا بحْثَ كيف صنع العدو الصهيوني والأمريكي جيشا خلفيا له داخل الأمة يقوم بما لا يستطيع العدو نفسه القيام به، ويستهدف ما لا يجرؤ على استهدافه، ومتى نشأ هذا الجيش التكفيري، على الرغم أن بداياته واضحة وتحتاج مع ذلك إلى مزيد من التوضيح كون المسألة في غاية الخطورة.

فمن بداية إنشاء الوهابية ومملكة آل سعود بمرجعية ابن تيمية ومن على شاكلته، والذي يُعتبر بداية قرن الشيطان بدأ في الحقيقة إنشاء هذا الجيش داخل الأمة، ومروراً بأفغانستان، وكيف استطاع هذا الجيش التكفيري إخراج روسيا منها لتدخل أمريكا، وبعد دخولها بسلام توزع هذا الجيش باسم القاعدة وأدخل أمريكا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر إلى كثير من الدول سواء بشكل عسكري أو بشكل سياسي أو بأي شكل من الأشكال، وبعد تجربة أفغانستان عمّم العدو الأمريكي والصهيوني التجربة نحو البلدان الإسلامية وفي

محاولته إسقاط سوريا وحزب الله وتأمين إسرائيل وجّه الجيش بنسخته الجديدة داعش، وجند المقاتلين فيه من شتى أنحاء العالم وأوصلهم ودرّبهم وموّلهم عبر النفط العربي، وأفتاهم عبر علماء السعودية والخليج وتستمر القضية على هذا المنوال.

إذاً نحن بحاجة إلى دراسة التكفير بدون عاطفة أو انتماء طائفي ومذهبي يؤثر على الموضوعية في الدراسة ونتائجها والتي ستُبنى على ضوئها استراتيجية التعامل والمعالجة.

لا يمكن في هذا الكتيب المتواضع والبسيط أن نقدم رؤية كاملة كون ذلك يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة والمقام هنا لا يسمح أصلاً ولا يتسع لذلك ويحتاج الموضوع إلى جد ومثابرة واهتمام وتكاتف من الجميع، كما أن وضع استراتيجية للمعالجة والحل والمواجهة تحتاج هي الأخرى إلى عمل مرتب، وجهد منظم، وتشجيع، وأخذ الموضوع بجدية من قبل أصحاب القرار، كما أن تحويل الاستراتيجية بعد وضعها إلى خطة عمل قابلة للتنفيذ والتطبيق يحتاج أيضاً إلى استشعار الحاجة لذلك، والضرورة الملحة له؛ وهنا ندعو إلى أخذ الموضوع بمسؤولية، وإلى البدء الفوري في إنجاز هذا العمل الكبير والمهم والملح؛ كونه أهم جبهة وأفضل طريقة لمواجهة التكفير

وجرائمه؛ لأن المواجهة الأمنية والعسكرية وحدها لا تكفي، ومكلفة، وهي حل مؤقت وطارئ وضروري في نفس الوقت، وجزء من الحل، وليست كل الحل، ونحن بحاجة إلى حل جذري وجوهري.

من الخطأ الفظيع أن لا نعير اهتماماً لمثل هذه التوصيات وتجاهلها، ومن الخطأ أيضا أن لا أحد يتحدث عن الجبهة الفكرية رغم أننا نواجه فكرا تكفيريا من جانب، ونتائجه الإجرامية من جانب آخر، وما يجري اليوم هو مواجهة نتائجه الإجرامية فقط، وتركنا مواجهة الفكر بالفكر وتوعية المجتمع وإصدار الدراسات والبحوث، وكأن ذلك لا يُعتبر جهاداً في سبيل الله، فالفكر هو المحرك الأول للجريمة واقتلاعه هو اقتلاع للجريمة، ومواجهته هو مواجهة لأعداء الأمة من الأمريكيين والصهاينة وآل سعود ومن كان على شاكلتهم؛ لأنه بالنسبة لهم يشكل الرافعة الأساسية لاعتداءاتهم بحق المسلمين.

إن هذه المسألة أمانة نضعها في أعناق أصحاب القرار، وفي أعناق العلماء بالذات والمفكرين والمثقفين والثقافيين والأكاديميين، فكم من أوقات نهدرها فيما لا طائل منه، وكم من مواضيع هامشية نهتم بها ونعمل لأجلها، وكم أموال تُبدد هنا وهناك بدون فائدة، وكم خسارة ندفعها في مواجهة الفكر من شهداء وجرحى، وإذا قُتل من التكفيريين واحد فرّخوا لنا عن طريق الفكر عشرة بدلاً عنه.

من باب النصيحة نقول: لا تنظروا إلى صاحب أي مقترح أو توصية حتى لا تتجاهلوهما ولكن انظروا إلى المقترح نفسه والتوصية نفسها وأهمية ذلك حتى نقوم جميعاً بواجبنا ونتحمل معاً مسؤوليتنا.

وأعتقد والله أعلم أن مهمة القضاء على الفكر التكفيري هي مهمتنا، مهمة علماء الزيدية؛ كوننا نحمل فكراً معتدلاً وقرآنياً وسطياً بين فرق الأمة كلها، وكون الفكر الزيدي يُعتبر النموذج الإسلامي الأمثل ولديه مشتركات بين مذاهب الأمة، ومساجده مفتوحة للكل ولا يوجد له مساجد خاصة وهو منفتح على الجميع.

بل لا أبالغ إن قلت: إن مسؤولية تقديم الإسلام للعالم ولغير المسلمين تقع على عاتقنا بما نمتلكه من منطق وإقناع وفكر عملي حي، ولا أبالغ إن قلت: إن مهمة الإمام علي عليه السلام داخل الأمة مسؤوليتنا ولا يمكن لطرفي نقيض أن يقوموا بذلك.

والله من وراء القصد

محتويات الكتاب

المقدمة ٣

أهمية إحياء ذكرى استشهاد الإمام علي (ع) ٤

إيجاز مراحل حياة الإمام علي (ع) ٧

المرحلة الأولى: من مولده(ع) حتى البعثة النبوية ٧
المرحلة الثانية: من البعثة حتى الهجرة ٨
المرحلة الثالثة: من الهجرة حتى وفاة النبي (ص) ٩
المرحلة الرابعة: من وفاة رسول الله (ص) حتى خلافته (ع) ١١
المرحلة الخامسة: من خلافته (ع) حتى استشهاده ١١
لماذا علي (ع)؟ ١٥
كيف نعود إلى علي (ع)؟ ١٨
علي مع القرآن والقرآن مع علي ١٨
فزت ورب الكعبة ٢٣

تحليل الجريمة وارتباطها بواقعنا ٢٦

لماذا قاتله أشقى الأولين والآخرين؟ ٢٦
لماذا قُتل (ع)؟ ما هي الدوافع والأسباب؟ ٢٧
أين ضرب؟ ومتى؟ ٣٢
معالجات للفكر التكفيري وجرائمه ٣٣
الرؤية التشخيصية للفكر التكفيري وجرائمه ٣٤

ذكرى استشهاد الإمام

علي بن أبي طالب عليه السلام

فُزتُ وربِّ الكعبة

رمضان ١٤٣٧هـ

المجلس الحيدري الإسلامي

المجلس الحيدري الإسلامي

صنعاء | ٢٠١٦م